

بحار الأنوار

[361] وروي السكوني، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إياكم ودعوة المظلوم، فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله إليها، فيقول: ارفعوها حتى أستجيب له، وإياكم ودعوة الوالد فإنها أحد من السيف. وعن الصادق عليه السلام: ثلاث دعوات لا يحجب عن الله عز وجل: دعاء الوالد لولده، إذا بره، وعليه إذا عقه، ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لآخيه المؤمن إذا واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه، واضطرار أخيه إليه. قال الشيخ ابن سينا: سبب إجابة الدعاء توافي الأسباب مع الحكمة إلهية وهو أن يتوافق سبب دعاء رجل فيما يدعو فيه، وسبب وجود ذلك الشيء مع الله عن الله فان قيل: فهل يصح وجود ذلك الشيء من دون الدعاء، وموافاته لذلك الدعاء؟ قلنا: لا، لان علتها واحدة، وهو الله الذي جعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء، وما لم يشرب الدواء لم يصب، وكذلك الحال في الدعاء وموافاة ذلك الشيء فلحكمة ما توافي مع الله حسب ما قدر وقضا، فالدعاء واجب وتوقع الإجابة واجب، فان انبعثها للدعاء يكون سببه من هناك ويصير الدعاء سببا للإجابة، وموافاة الدعاء لحدوث الأمر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة، وربما يكون أحدهما بواسطة الآخر. وقد يتوهم أن السماويات تنفعل من الأرضية، وذلك أنا ندعوها فتستجيب لنا، ونحن معلولها وهي علتنا، والمعلول لا تفعل في العلة البتة، وإنما سبب الدعاء من هناك أيضا لانها تبعثنا على الدعاء، وهما معلولا علة واحدة، وإذا لم يستجب الدعاء لذلك الرجل، وإن كان يرى الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب فيه أن الغاية النافعة إنما يكون بحسب نظام الكل، لا بحسب مراد ذلك الرجل، فربما لا تكون الغاية بحسب مراده نافعة، ولذلك لا يصح استجابة دعائه. والنفوس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الأول قوة تصير بها مؤثرة